البعد الحضاري للعقيدة الإباضيّة

مكتبة الاستقامة

الطبعة الثانية

لسنة ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٠٠٤م

تأليف : الدكتور فرحَات الجعْبيري

الإهـــداء

إلى والديّ الحبيبين .

وإلى زوجتي .

وإلى أخي محمود .

وإلى كل مسلم غيور ربّاني .

أهدي هذا العمل المتواضع عسى أن يقرّب بين المسلمين وأن يؤلف بين ٱلقلوب لتكون كلمة الله هي ٱلعليا .

فرحات

أبواب البحث وفصوله

الباب الأول : اطار القضية العام .

الفصل الأول : الاباضية وتسمية الفرق .

الفصل الثاني : التراث الكلامي عند الاباضية .

الباب الثاني : الالهيات .

الفصل الأول : الاباضية والمحكم .

الفصل الثاني : الاباضية والمتشابه .

الباب الثالث : الانسانيـــات .

الفصل الأول : القضاء والقدر .

الفصل الثاني : الوعد والوعيد والخلود .

العنوان الأصلي للبحث :

تحليل ما يتعلق بأصول الدين من التّراث
الإباضي بالمغرب في القرون التالية :
10 ــ 11 ــ 12 هـ / 16 ــ 17 ــ 18 م

قدّم هذا الكتاب للإحراز على شهادة التّعمّق في البحث العلمي بكلية الآداب بالجامعة التّونسيّة بإشراف الأستاذ محمد الطّالبي ونوقش في شهر جوان 1986 .

وتكونت اللجنة المناقشة من :

الأستاذ محمد اليعلاوي : رئيسا .
الأستاذ سعد غراب : عضوًا .
الاستاذ محمد الطّالبي : عضوًا .
وقبل بدرجة حسن جدّا .

اعتذار :

نعتذر لدى القرّاء الكرام لما بقي أثناء الطّبع من هنات رغم حرصنا على تلافي ما أمكن تلافيه .

ـ بالنسبة الى المخطوطات : نذكر عدد الصفحات او الورقات ثم عدد الاسطر بكل صفحة ثم المقاس .

(مثال) 12،5/17.24.51 صم ، ر. خاصة فهرس المصادر المخطوطة .

ر : راجـــع .

ص : صفحـــة .

ط : طبعـــة .

م : مجلـــد .

E.I. : Encyclopédie de l'Islam.

E.I. ancienne ed.EI_2 nouvelle ed.

G.A.L. : Brockelman G., Geschichte der Arabischen Litteratur, 2 ed, Leyde 1943 - 1949.

A.I.U.O.N.: Annali dell, Istituto Universitario Orientale di Napoli.

F.O.: Folio Orientalia, Krakow .

I.B.L.A.: Institut des Belles lettres Arabes. Tunis.

J.S.S.: Journal of semitic studies.

R.A.: Revue Africaine.

S.I.: Studia Islamica.

تقديم سماحة الشيخ
أحمد بن حمد الخليلي

بسـم الله الرحمـان الرحيم

الحمد لله حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، المجلّي لوجه الحق بنور برهانه ، وعلى آله الطيبين وأصحابه الغرّ الميامين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين .

أمّا بعد فقد قضى الله ــ ولا رادّ لما قضى ــ أن تنقسم هذه الأمّة ــ كغيرها ــ إلى شيع وأحزاب ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ، ولما عندهم منتصرون ، وممّا باعد الشقّة بينها وضاعف محنة الانصداع التي تعانيها إخلادُ الأكثرين إلى مواريثهم الفكرية التي ورثوها من آبائهم وأجدادهم ، وتلقفوها من أشياخهم وأساتذتهم ، حتى اعتبروها أنّها الأصل ، فطوّعوا لها نصوص الدين لأن الدين ــ في نظرهم ــ لا يُبصَرُ إلّا بمنظارها ، ولو كانت تلك النّصوص كاشفة عن عوارها مباينة لها بَينونة الحقّ من الباطل ، مفارقة لها مفارقة الضّياء للظّلام .

ومن حيث إنّ أصول الدين هي قواعده التي يقوم عليها صرحه الشّامخ كان الاتّفاق والاختلاف فيها مقياسا للالتقاء والافتراق ، والتقارب والتباعد بين فئات الأمّة ، وإنّ مما يعزّي نفوسنا ، ويسلّي همومنا أن يلتقي جمهور الأمّة على أمّهات هذه الأصول ، وهي : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ،

ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره من الله ، وإنما اختلفوا في تفاصيل هذا الإيمان .

ويرجع هذا الاختلاف إلى أمرين :

أولهما : التّفاوت في فهم النّص وتأويله حسبما يترجح أنه المراد .

ثانيهما : تحفّظ بعض الفئات من بعض النّصوص التي لم تصل إلى درجة القطع ، إمّا لريب في نقلتها ونقلها وإمّا لمعارضتها بما هو أقوى منها في نظر المتحفّظين ، في حين أنّ الفريق الآخر يكون مقتنعا بتلك النّصوص فيعتدّ بها ويعوّل عليها ، وثمّ أمر آخر له مساس بكلا الأمرين وهو الاختلاف في ترجيح النّصّ على العقل أو العكس ، فمن طوائف الأمّة من بالغ في تقديس العقل حتى جعله الأصل في فهم الدين ، وضرب بكل نصّ خالفه عرض الحائط إن لم يمكنه تأويله بما يتّفق مع المفاهيم التي استقرّ عليها عقله ؛ ومنهم من أهمل جانب العقل فلم يستبصر بنوره في فهم مقاصد النّصوص ، وإنّما اكتفى بالانسياق وراء ظواهر ألفاظها فاقتنع بالشّكل دون المحتوى ؛ ومنهم من وُفّق للتّوسّط بين أمرين فجمع بين النّصّ الثّابت والعقل السّليم .

وإنّ من يمعن نظره في التّراث الإباضي الفكريّ ـ متجرّدا عن العوامل النّفسية ، والمؤثّرات الوراثية ـ يدرك كل الإدراك أنّ الإباضية أكثر فئات هذه الأمّة اعتدالا ، وأسلمها فكرا ، وأقومها طريقا ، وأصحّها نظرا ، وأصفاها موردا ومصدرا .

فهم لم يُلقوا بالعقل في زوايا الإهمال لأنّ الله خاطب بوحيه أولي الألباب ونعى على قوم لا يستخدمون عقولهم في فهم الحقّ ودرك الحقيقة ، ونادى عليهم بالخذلان ، وسجّل عليهم بالخسران ، كما هو واضح في كثير من آيات الفرقان ، غير أنّهم لم يرفعوا العقل فوق مستواه ، ولم يعطوه أكثر ممّا يستحقّ ، فلم يؤثروه على النّصّ ، وإنّما جعلوه وسيلة

من وسائل فهم مراده ، وتعيين مقاصده ، قطعا أو ظنّا ، وهم في كلّ ذلك ينطلقون من فهم عميق للغة النصّ التي تستخدم تارة في حقيقتها وأخرى في مجازها حسبما تقتضيه أصولها مراعين في ذلك جميع القرائن والأحوال التي تعين على تشخيص المراد .

وقد زخر التّراث الفكري الإباضي ببحوث واسعة جامعة في أصول الدّين فاضت بها أقلام أساطين علماء الإباضية المتبحرّين الذين نذروا حياتهم لنصرة الحقّ وقمع الباطل بنصب الحجج ودرء الشّبه ، فتعاقبوا منذ القرن الأوّل الهجري على الاضطلاع بهذا الواجب وأداء هذه الرّسالة ، غير أنّ من دواعي الأسف أنّ السّواد الأعظم من المسلمين ظلّوا محرومين من الانتفاع بهذه الكنوز الغالية إمّا لعقد نفسية سببتها القطيعة التي اصطنعت بين أبناء هذه الأمّة رغم كونها تعبد إلها واحدا ، وتدين بملّة واحدة ، وتؤمن برسالة واحدة ، وإمّا لقصور في تصوّر ما تعتقده هذه الطائفة من الحقّ ، وما تستند إليه من الحجج .

وإنّ من أشائر البشائر أنْ نرى جماعة من رواد الدّعوة الإسلامية ودعاة وحدة هذه الأمة ـــ سواء كانوا من الإباضيين أو غيرهم ـــ تحفزهم الغيرة على الحقّ إلى نفض الغبار الذي تراكم على هذا التراث الفكري ، وإزاحة السّدود التي أرختها عليه القرون الغابرة ليبرز وجهه المشرق للناظرين ويتجلّى جماله الأخّاذ لطُلّاب الحق وعشّاق الحقائق .

ومن بين هؤلاء السّاعين لهذه الغاية النّبيلة أخونا الفاضل الشّيخ فرحات ابن علي الجعبيري الذي طوّف بفكره الوقّاد بين معالم هذا التّراث عبر العصور المتتالية منذ القرن الأول الهجري إلى قرننا هذا ، وأرسل يراعه الملهم إلى أعماق محيطات هذا التّراث وبحاره ، فعاد بحصيلة واسعة من جواهر الفكر ازدان بها عقد أطروحة أخينا العزيز التي اختصّها بهذا الموضوع بعد ما شقّق عنها أصداف اللّبس بتحليلاته الواسعة وبيانه الفياض ، فكانت أطروحته بحقّ منهلا لكلّ وارد ، ومنتجعا لكلّ رائد بما فيها من فتح لأقفال كانت مغلقة ، وتجلية لحقائق كانت مستورة .

وقد أولى عنايته الخاصة بالتّراث المغربي في الثلاثة القرون الهجرية العاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر لأنه موضوع بحثه ، سوى أنه ألمّ في مناقشاته وتحليلاته بما قدّمه علماء المذهب في هذا المجال في سائر القرون ، سواء كانوا من أهل المشرق أو من أهل المغرب .

وإنّ فضيلته ـ إذ يقدم هذا البحث العلمي إلى رادة الفكر الإسلامي المتحررين من العقد النّفسية والعصبيّات المذهبية ـ ليرجو ونرجو جميعا أن يكون لهذا البحث أثر إيجابي في وقف الإشاعات الباطلة التي تصدر عن القلوب المريضة ، وتقذف بها الألسنة المغرضة ، وتسيل بها الأقلام المأجورة لتمزيق شمل أمتنا الإسلامية وهي أحوج ما تكون إلى رأب الصّدع وجمع الشمل والمودّة والوئام .

والله نسأل أن يجمع شمل عباده المؤمنين على ما يحبّ ويرضى ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

أحمد بن حمد الخليلي

مسقط / 10 المحرم الحرام 1407 هـ

تقديم الأستاذ محمد الطّالبي

بسم الله الرحمان الرحيم

وأفضل الصلوات على خاتم الأنبياء والمرسلين .

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا (آل عمران 3 / 103)

لكن ، بالرّغم من تحذير القرآن ، تفرّق المسلمون ، وكفّر بعضهم بعضا ، وأهرقوا دماءهم بأيديهم ، وما زالوا يهرقونها ...

ولقد ورد بالمدوّنة الكبرى ، برواية سحنون عن ابن القاسم عن مالك ، إمام دار الهجرة ، ما نصّه :

« قلتُ : أرأيت قتال الخوارج ، ما قول مالك فيهم ؟ ــ قال : قال مالك في الإباضية والحرورية ، وأهل الأهواء كلّهم : « أرى أن يستتابوا ، فإن تابوا وإلّا قتلوا ». قال ابن القاسم : وقال مالك في الحرورية وما أشبههم : « إنّهم يقتلون إذا لم يتوبوا إذا كان الإمام عدلا .» فهذا يدلّك على أنّهم إن خرجوا على إمام عدل ، وهم يريدون قتاله ويدعون إلى ما هم عليه ، دعوا إلى الجماعة والسنّة ، فان أبوا قتلوا .» (المدوّنة الكبرى ، ط . مصر 1323 ، ج 2 ص 47) .

كان عبد الله بن إباض الذي ينسب إليه المذهب الإباضي مسلما مخلصا ، ويعدّ المذهب الذي وضع أسسه من أقدم المذاهب الإسلامية ، إن لم يكن أقدمها كلّها . ولم يكن مالك ، إمام دار الهجرة ، أقلّ منه إخلاصا إلى الإسلام وغيرة عليه . وكان ابن القاسم من أتقى أصحاب مالك وأصدقهم ورعا . ولم يكن سحنون ، الذي عنه دوّن المدوّنة ، يقلّ عنه تقى وورعا .

لكنّ الحقيقة المرّة تبقى هي هي : استحلّ مالك دماء الإباضية ومن يدعوهم بأهل الأهواء . واستحلّ بصفة أعمّ أهل القبلة ، على ورعهم وإخلاصهم في كثير من الأحيان ، دماء بعضهم بعضا ، وتلاعنوا مليّا ، وعوض أن يعتصموا بحبل الله جميعا ، ويتحابوا فيه وفيما بينهم ، تفرّقوا ، وتقاتلوا ، وتجاذبوا الله كلّ إلى جانبه ، واغتصبوه كلّ إلى نحلته .

فما الحلّ ؟

ومازالت موجات التكفير سائدة إلى يومنا هذا ، والدّماء سائلة ؟!

لا يملك أيّ فرد منّا بمفرده ، ولا تملك أيّ مجموعة إسلامية وحدها مهما ضاقت رقعتها أو اتّسعت ، حلاّ سحريّا ، ما لم تتطوّر العقليّات ، وتنشرح الصّدور إلى السّماحة ، والتّسامح ، واحترام آراء المخالف .

ولا شكّ أنّ الدراسات المقارنة لمختلف المذاهب الإسلامية ممّا يعين على تطوّر العقليّات ، وانشراح الصّدور إلى التّسامح والاحترام المتبادل ، بفضل ما توفّره هذه الدّراسات من فهم أعمق ، وأكثر إنصافا وموضوعية لآراء الموالين والمخالفين .

وتنصهر الدّراسة التي قام بها الأستاذ فرحات الجعبيري ضمن هذه الدراسات المقارنة . فلقد استطاع ، بأقصى ما يمكن من الموضوعية التي لا تخلّ باعتقاد المعتقد ولا تشوّه معتقد غيره ، أن يقارن بين أصول الإباضية ، وإليهم ينتمي سلوكا ومذهبا ، وبين مقالات مخالفيهم ، مع

توخي الاختصار ، والاقتصار على أمّهات المسائل ، حتى تبقى الدراسة في حدود معقولة كيفا وكمّا .

ونحن نعتقد أنّ الدّراسات المقارنة ، وقد فتح بابها منذ قرون كلّ من كتب من علمائنا في « مقالات الإسلاميين » و« الملل والنّحل » ، هي طريق المستقبل ، لا فقط داخل أسرنا الإسلامية على اختلاف اجتهاداتها ، بل أيضا في مستوى كلّ عائلات أهل الإيمان على اختلاف أديانهم ومللهم ونحلهم . فهذه الدّراسات — إذا ما روعي فيها هدوء الأعصاب ، وأقصى ما يستطيعه المؤمن الملتزم عقيدة وسلوكا من موضوعية ، وكل كائن ذي عقل حتما ملتزم من حيث يشعر ولا يشعر سواء في ذلك المعتقد وغير المعتقد — فإنّها ستنير لكلّ طالب حقّ إن لم يكن الحقّ فما يقرب من الحقّ ، إذ في النّهاية لا يعلم حقّ العلم إلا الله . ولكلّ أن يختار سبيله الى الله حسب ما يمليه عليه ضميره واجتهاده .

ولقد اجتهد الأستاذ فرحات الجعبيري ، وقام بدراسته بجدّ وإخلاص وحماس ، واختار أن يركّز بحثه على أصول الدين عند إباضية المغرب في الفترة التي تتراوح من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر . هـ (16 — 17 — 18 ميلاديا) . فاستخدم لذلك ، زيادة على ما توفّره المراجع ، المصادر الأساسية المطبوعة والخطيّة ، وقام بتحقيقات ميدانية في مكتبات الأوساط الإباضية بالجزائر وليبيا وتونس وعمان ، وقد ساعده على ذلك انتماؤه إلى المذهب الإباضي انتماء اعتقاد وسلوك .

إنّ هذا الكتاب الذي أنجزه الأستاذ فرحات الجعبيري يمكن أن يعتبر خدمة هامّة وثمينة للفكر الإباضي والإسلامي عامّة ، ولوجه من وجوه حضارتنا المغربية التي هي في حاجة أكيدة إلى البحث حسب الطّرق والأساليب الجامعية .

محمد الطالبي

تونس في 18 / 9 / 86

بسم الله الرحمٰن الرحيم
والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين

المقــدمــة

إن كنت أنسى فلا أنسى رحلتي الأولى إلى وادي ميزاب . جمادى الأولى 1387 / أوت 1967 حيث فتح الله بين أيدينا مكتبات عشّش فيها العنكبوت وباض وفرّخ لأنّ المفاتيح لم تمسّ أقفالها منذ ما لا يقل عن ربع قرن ، إلى جانب مكتبات عامرة ، زاخرة تنبض فيها الحياة .

وهكذا فتحت العين وامتدّت اليد .

فلا غرابة حينئذ في أن يستوقفنا ما في تلكم الخزائن من تراث ، وكانت الجولة الأولى في لقاء مع تنظيم ديني اجتماعي استطاع أن يصمد أمام الزّمن ألا وهو **نظام العزّابة عند الإباضية في جربة** .

ثمّ تبعتها رحلات أخرى إلى هناك ، مع حرص على تنظيم ما بقي من مثل هذا التّراث في جزيرة جربة ، خاصة بالمكتبة البارونية ومكتبة سالم بن يعقوب ، إلى أن يسّر الله الانطلاق في رحلة علمية ثانية دفعت بنا إلى الطّواف في أنحاء جبل نفوسة معقل الإباضية الأوّل في بلاد المغرب ، كما ساقتنا إلى جناح الإباضية الثاني في بلاد المشرق بلد عمان . فماذا عن هذه الرّحلة العلمية الثّانية مع التّراث الإباضي ؟.

التّراث الوِرث والوَرث والارث والوارث والإراث واحد ، وهو ما ورث ، وأصل التّاء فيه واو ، هكذا نقل ابن منظور في لسان العرب عن الجوهري في صحاحه وابن سيده في مخصّصه ، وقد وردت الكلمة بهذه الصّيغة في قوله تعالى : ﴿وتأكلون التّراث أكلا لمًّا﴾ (80 الفجر 19).

وقد وردت في قوله عليه السلام : « وإليك مآبي ولك تراثي »[1] مع العلم أنّ الأنبياء لا يورثون ، فميراثه عليه السّلام حينئذ للوَارث الحقّ الذي لا إله إلاّ هو . ﴿ إنّا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ﴾(19 مريم 40) .

فالكلمة بهذه الصّيغة وصيغها الأخرى تدلّ على كلّ ما يخلّفه الهالك لورثته . ومن هذا المفهوم اللّغوي والشّرعي اتّسعت الكلمة لتدلّ على كل ما تخلّفه الأجيال السّابقة للأجيال اللاّحقة .

فهل سنحلل في هذا البحث كلّ ما أنتجه الإباضية في المغرب طيلة ثلاثة قرون 10 ، 11، 12 هـ وخلّفوه لمن بعدهم ؟ .

إنّ مثل هذه الدّراسة مفيدة ولا شكّ ، لكنّها في حاجة إلى جمع من المختصّين في شتّى الفنون لتتكامل جوانبها وتؤتي أكلها بعد حين .

وما دام هذا مستحيلا علينا الآن ، فإنّنا حاولنا أن نساهم في هذا البناء فاستقرأنا ما عثرنا عليه من تراث مكتوب[2] ــ وهذا كثير ــ عسى أن نستكنه أساسا من أسس الفكر الإباضي .

وما دام بحثنا يندرج ضمن الدّراسات الحضارية بقسم العربية بكلية الآداب بتونس ، ونحن نعلم أنّ كلمة حضارة تعني جملة مظاهر الرّقيّ العلميّ

---

(1) ر . الترمذي . دعوات 78 . ر . ونسنك : المعجم المفهرس 187/7 .
(2) انظر الباب الأول ، الفصل الثاني .

والفنّي والأدبيّ التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع أو مجتمعات متشابهة[3] ، رأينا أن نسلك مع تحليل هذا التّراث مسلك الدّراسات الحضارية ، فماذا عن هذا المسلك ؟

بناء على منطلقنا الأوّل[4] في البحث جمعنا ما تيسّر جمعه من هذا التّراث في شتّى الفنون وهو في جلّه مخطوط ، والمطبوع منه في عداد المخطوط ، عدا بعض النّصوص التي كتب لها أن ترى النّور بمنهج معاصر نقديّ[5] ، فتشعّبت المسالك واتّضح أن نزعة الشّمول ستؤدّي إمّا إلى الطّول الذي لا نهاية له ، وإمّا إلى الاختصار المخلّ الذي لا يجدي نفعا .

وبهذا تحوّل مسار البحث من العموم إلى الخصوص ، وكانت الوقفة عند باب من أبواب هذا التّراث ألا وهو باب أصول الدّين أو علم الكلام . وقد حاولنا تركيز هذا المسار على ثلاثة أسس ستكون الخيط الذي يربط بين أطراف هذا النّسيج .

وهذه الأسس هي :

1 ــ التحرّي في فهم النّصوص الإباضية **داخل الفكر الإباضي** لأنّه ككلّ فكر يقوم على نظام متكامل يربط بين جميع أوصاله . فلا يمكن على سبيل المثال أن نفهم أي نص إباضي فهما صحيحا إذا لم نضعه في إطاره من مسالك الدّين وهي : الظّهور والدّفاع والشّراء والكتمان .

2 ــ التّراث الإباضي تراث إسلامي ديني عالمي : ماذا أفاد ؟ وماذا

(3) ر. معجم المصطلحات العلمية والفنية الملحق بلسان العرب مادة حضر .

(4) تحليل التراث الإباضي في المغرب في القرون 10 ، 11 ، 12 هـ . وقد طلبنا من لجنة الدراسات المعمقة التّخفيف من الموضوع والاكتفاء بتحليل ما يتّصل بالعقيدة فوافقت مشكورة . (جويلية 1985) .

(5) انظر الفصل الثاني من الباب الاول 91 .

استفاد ؟ فمحاولة المقارنة حيث تمكن المقارنة ستكشف بقدر الإمكان عن الأخذ والعطاء والإيجابيات والسّلبيات في هذا التّراث .

ومثل هذه المقارنة ليست مفتعلة لأنّك قلّ أن تجد أثرا إباضيا متقوقعا على نفسه بداية ممّا روي عن إمام الإباضية جابر بن زيد (93/710—711) إلى آخر ما وصلنا ممّا طبع من الإنتاج الإباضي : الخوارج من أنصار الإمام علي كرّم الله وجهه لسليمان بن داود بن يوسف[6] ، بل إنّك تجد الإشارة خاصّة في كتب أصول الدّين إلى سائر الرّسالات السّماوية وكذلك الدّيانات الوضعية مثل الزّرادشتية والبوذية .

3 — التراث الإباضي لا للتراث وإنما للحياة : وغرضنا من هذا أن نثبت أن ومضة الحاضر ليست إلّا لحظة خاطفة بين ماض سحيق ومستقبل عريض فماذا عن الماضي لإنارة المستقبل ؟ لعلّها دروس وعبر في عالم طغت فيه الدّراسات المادّية إلى حدّ أن النّاس أعرضوا أو يكادون عن كلّ ما هو روحي . ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ (12 يوسف 111).

واعتمادا على هذه الأسس فإنّنا لن نقف من هذا التّراث كما يفعل كثير من المسلمين اليوم وقفة المتأفّف المكظوم ، وإنّما نقف منه وقفة بنّاءة تنفض عنه غبار طواحين الزّمن عسى أن تتقشّع سماء وجهه ، لينير بأصالته مستقبل أمّتنا[7] ، هذه الأصالة التي ما يزال أعداء الإسلام يحاولون اجتثاثها من تحت أرجلنا ، ولن ندرك مثل هذه الغاية عسيرة المنال إلّا إذا كانت أحكامنا ترتبط فيها النّتائج بالأسباب ارتباطا منطقيّا متكاملا يفضي بالقارئ المستنير بمختلف فنون العلم العصرية إلى النّتيجة المرجوة تدريجيّا دون أن يصطدم في ثنايا البحث بالإخلال بمعطيات المنهجية التي تحرص على أن تكون موضوعيّة أو أقرب ما يكون إلى الموضوعيّة لأنّ الموضوعيّة الصّرف لم

---

(6) انظر فهرس المصادر والمراجع 784.

(7) ر . ابن منظور : لسان العرب . ص : ث . مقدمة عبدالله العلائلي .

يدركها في ما نعلم إنسان لم يؤيد بالوحي ، ولن يدركها إنسان إلّا إذا تجرّد من كلّ مكوّناته ، وإن تجرّد منها فلا يمكن أن يكون إنسانا .

وقبل أن أعرض مراحل هذا البحث لا يفوتني أن أذكّر بعملين معاصرين استفدت منهما استفادة لا تنسى :

أوّلهما : أطروحة دولة باللغة الانجليزية قدّمها الأستاذ عمرو خليفة النّامي[8] بجامعة كمبردج **1971** عن تطوّر الفكر الإباضي .

تتكون من قسمين كبيرين :

القسم الأوّل يضم **396** صفحة وقد قام على الفصول التالية : نشأة الإباضية ، التّعريف بإمام الإباضية الأوّل جابر بن زيد ، التّعريف بإمام الإباضية الثّاني أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة ، الفقه الإباضي ، العقيدة الإباضية ، فِرق الإباضية ، الولاية والبراءة ، مسالك الدّين والإمامة .

القسم الثاني : لم نتمكّن من الاطلاع عليه وفهرست الأطروحة تشير إلى أنّه تحليل لنصوص مي العقيدة والفقه حقّقها الباحث تحقيقا علميّا وهي :

ــ القسم الثّاني من الباب الأوّل من كتاب قواعد الإسلام لإسماعيل الجيطالي : لم يطبع ولم أطّلع عليه .

ــ كتاب أصول الدّين لتبغورين بن عيسى الملشوطي مرقون بمكتبتي .

ــ أجوبة ابن خلفون لأبي يعقوب يوسف بن خلفون (في الفقه المقارن) مطبوع .

---

(8) انظر ما يلي ص 87

إنّ هذه الأطروحة أغنتنا بمقدمتها عن إعادة عرض الدّراسات المعاصرة عن الإباضية في مقدمتنا هذه [9] .

كما أنّ هذه الأطروحة بفصولها الأولى حدّدت أمامنا معالم نشأة الفكر الإباضي بوضوح ، الأمر الذي ساعدنا على التّوسّع في مناقشة تسمية الفرق وتوضيح موقف الإباضية من براءة الانتساب إلى الخوارج . كما أنّها بفصلها الخامس عن العقيدة الإباضية (201 — 330) في الإلهيات والإنسانيات وضّحت لنا نشأة العقيدة الإباضية وعرّفتنا بمصادرها إلى القرن التاسع هـ / الخامس عشر م تعريفا موسّعا .

أمّا عن مرحلتنا المقرّرة في البحث فقد اكتفت بتعداد المصادر دون تحليلها .

ولهذا نعتبر عملنا امتدادا لما قدّمته هذه الأطروحة حيث عرّفنا بتوسّع بما وقع ذكره من المصادر .

كمَا أنّ عملنا هذا يتجاوز مرحلة الوصف والتّعريف إلى إبراز البعد الحضاري لهذه العقيدة .

ولا ننكر أنّنا مدينون لهذا العمل خاصّة لما جاء فيه من دقّة في التّعريف بوجوه الإباضية عبر الزّمن ضمن الأطروحة أو في التّحقيق .

ثانيهما : أطروحة دكتوراه دولة باللّغة الفرنسية قدّمها الأب بيار كوبرلي بالسّربون سنة 1982 ، وهي بحث في العقيدة الإباضية في ثلاثة مجلّدات ، مجلّدان أساسيان ومجلّد للملاحق .

---

(9) وهذه الدراسات منها ما هو للمستشرقين بمختلف اللّغات ، ومنها ما هو بالعربية للإباضية ولغير الإباضية .
ر. النامي : الاطروحة ص VII — XXII

وقد ضمّ المجلدان الأوّلان 655 صفحة . أمّا المجلد الثالث فقد ضمّ 208 صفحة وهي ترجمة لنصوص في العقيدة الإباضية مع 74 صفحة لنصوص عربية في العقيدة الإباضية أيضا [10] .

وقد تمثّلت الأطروحة في ثلاثة أقسام :

قام القسم الأوّل منها على عرض تاريخي لنشأة الإباضية وعقيدتهم مع تحليل لنصوص في العقيدة .

اما القسم الثاني وهو أساس البحث فقد عالج القضايا التّالية : الذّات والصّفات ، خلق القرآن ، القضاء والقدر ، نفي الرؤية ، الإمامة .

وَأما القسم الثالث فهو ترجمة وعرض لبعض النّصوص في العقيدة الإباضية .

واضح من خلال هذه الأطروحة أنّ النصوص الأساسيّة المعتمدة ترجع إلى القرن 14/8 وما قبله وإن كان الباحث قد استفاد أيضا من النّصوص المتأخّرة .

والمهمّ بالنّسبة إلينا أنّنا استفدنا من هذا البحث خاصّة من حسن العرض والقدرة على الوصف وعرض أسس العقيدة مع المقارنة مع الفكر الإسلامي والنصراني في كثير من الأحيان .

إلّا أنّ الأطروحة على ما فيها من دقّة فإنّها لم تتوسّع في تحليل النّصوص المقررة في مرحلتنا ق 10 ، 11 ، 12 هـ ، كما أنّ صاحبها اكتفى بالتّعريف بالعقيدة لأنّ عمله يندرج ضمن قسم الدّراسات الدّينية ، بينما آلينا على أنفسنا ، وهذه العقيدة جزء من كياننا ، أن نبيّن أثرها الفعّال في البيئة التي تدين بها .

---

(10) انظر قائمة المصادر والمراجع .

وإن التقينا في بعض القضايا مثل الذّات والصّفات ، وخلق القرآن ونفي الرؤية والقضاء والقدر فإنّنا تجاوزنا ذلك إلى تحليل قضيتي الوعد والوعيد والخلود وتركنا مبحث الإمامة والولاية والبراءة وهما من الأصول الاجتماعية لأن البحث تجاوز القدر المطلوب .

أمّا عن مراحل هذا البحث فتتمثل في ثلاثة أبواب :

أمّا الباب الأوّل فقد أقمناه على فصلين ، فحاولنا أن نحدّد إطار القضيّة العام في الفصل الأوّل حيث نزّلنا الإباضية المنزلة التي يختارون لأنفسهم بين الفرق الإسلامية ، وخصّصنا الفصل الثاني للتّعريف بعلم الكلام مع عرض سريع لنشأته عند الإباضية خاصّة مع تعريف مختصر بمصادره إلى القرن 15/9 وتحليل موسّع لمصادر المرحلة المقرّرة في البحث 10، 11، 12هـ/16، 17، 18م بما فيها من إنتاج مبتكر وشروح ومختصرات .

أمّا الباب الثّاني : فقد حاولنا أن نحدّد فيه كلّ ما يتعلّق بالله تعالى من المباحث الكلامية ، فأقمنا الفصل الأول على ما يغلب الاعتماد فيه على ما جاء محكما من القرآن الكريم كقضيّة وجود الله تعالى وأسمائه وصفاته ، وما يجب في حقّه ، وما يستحيل ، وجاء الفصل الثّاني موضّحا موقف الإباضية من المتشابه خاصّة في قضية الاستواء ونفي الرؤية وخلق القرآن .

أما الباب الثالث فقد حرصنا فيه على تحليل مسألتين تتعلقان بأسس الصّلة بين الله وبين الإنسان ، فجاءت أولاهما في الفصل الأوّل وهي قضية القضاء والقدر وما يتعلق بها من مباحث وجاءت الثانية في الفصل الثاني وهي قضية الوعد والوعيد وما يتعلق بها من مباحث .

تلك هي دعائم هذا البحث وإن بدت واضحة الآن فإنّنا لم نصل إلى ذلك إلّا بعد أن اعترضتنا صعوبات جمّة أبرزها :

— عناء في استقراء عدد كبير من المخطوطات وضبط فهارس لتحديد موضوعاتها ولتيسير الاستفادة منها عند الحاجة .

ـ عناء في ضرورة الاطّلاع على أكثر ما يمكن من نصوص غير إباضية لأنّنا قرّرنا منهجا مقارنا من بداية البحث .

ـ عناء في التّنسيق بين هذه النّصوص مع ضبط إطارها الزّمني . مع العلم أنّ هذا التّحديد الزّماني والمكاني كلّفنا نصيبا من العناء ، إذ كثيرا ما تعوزنا المادّة الكافية فنضطرّ إلى اعتماد مصادر من المراحل السّابقة أو اللاّحقة ، أو مصادر من إباضية عمان رغم أنّ البحث ينحصر في إباضية المغرب يعني جبل نفوسه وزوارة وجربة ووادي ميزاب(11) ، وقد حرصنا على ذكر ذلك في إبّانه ، وهذا لا يعتبر خللا في البحث لأنّ علماء هذه المرحلة استفادوا ممّن قبلهم وقد أخذ من جاء بعدهم عنهم ، بل في كثير من الأحيان نطعّم مواقف الإباضية بمواقف لغير الإباضية وذلك في مواطن الاتّفاق .

ومهما حاولنا أن نلمّ بشعب العقيدة الإسلامية بين مختلف الفرق بمنهج مقارن فإنّه يصعب الإلمام بكلّ شتاتها لذلك جاءت الإشارات إلى هذه الفرق حسب مقتضيات البحث وحسب توفّر ما أمكن توفّره من المصادر والمراجع ، وقد حرصنا على الرّجوع إلى مصادر كلّ فرقة بصفة مباشرة إلّا اذا تعذّر ذلك ، كلّ ذلك رغبة منّا في الأمانة العلمية بقدر الإمكان .

كما حاولنا أن نوفّر بين يدي القارئ كلّ ما يساعده على الفهم ، ونلحّ خاصّة على ما سعينا إلى توفيره من تراجم لكلّ من ذكرنا من علماء الإباضية ـ إلّا ما تعذّر علينا من تراجم بعض علماء عمان ـ وذلك لعدم توفّر جلّها في كتب التّراجم المتداولة ، ونلحّ أيضا على ما يوفّره البحث من نصوص ، وقد يطول الاستشهاد بها عن قصد ، لأنّ هذه النّصوص هي دعامة هذا البحث ومنطلقه ، والكثير منها ضرب من التّحقيق لأنّها مقتبسة من

---

(11) وقد انحصر الإباضية في المرحلة المقررة في هذه المناطق . انظر الخرائط في آخر البحث 834 . 837 .

مخطوطات نادرة وكلّ ذلك حتّى لا تتّهم استنتاجاتنا بالادّعاء ، وحتّى يتمكّن القارئ من المقارنة بينها وبين ما يتوفّر بين يديه من نصوص غير إباضية لجأنا إلى إيراد شيء منها أحيانا والى الإحالة على مصادرها أحيانا أخرى .

وتبقى في النّهاية خاتمة البحث في رأينا سبيلا من سبل تبيين حاجة المسلمين إلى توظيف تراثهم لتتّضح أمامهم مسالك المستقبل .

تلك هي قصارى الجهد ، فما كان من سداد في هذا البحث فمن الله وما كان من خطإ فمنّي ، ومهما تبيّن لك أنّ العمل متكامل فإنّك تحسّ إذا رجعت إليه أنّه في حاجة إلى تشذيب وتحسين ، وتكفينا في هذا قولة أبي الفرج الاصبهاني : « إنّي رأيت أنّه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلّا قال في غده ، لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدّم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النّقص على جملة البشر . » .

ونحمد الله تعالى أن رفع عن النّاس الخطأ والنّسيان وما استكرهوا عليه كما ثبت في الحديث الشريف .

رب أنعمت فزد .

تونس في 4 ذي القعدة الحرام 1405
21 جويلية 1985

الباب الأول

الإطار العام للقضيّة

الفصل الأول

الإباضية وتسمية الفرق

تمهيد :

قال تعالى : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (8 الأنفال 46)
وقال : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا﴾ (آل عمران 103) .

هل امتثل المسلمون وأهل الكتاب من قبل لهذه النّصوص وأمثالها وكانوا أمّة واحدة ؟.

إنّ النّاظر في حياة الأمم .قديمها وحديثها لا يحار في الإجابة عن هذا السؤال .

نعم تفرّق النّاس فكانوا مللا ونحلا ، وشيعا وأحزابا ، وفرقا ومذاهب شتّى،هذا شأن البشر ، مذ عرف للإنسان تاريخ ، فلأهل الصّين مذاهبهم وكذا أهل الهند وأهل فارس وكذا أهل الكتاب .

فما هو السّبب يا ترى ؟

لعل ذلك يرجع إلى أمر غريزي في الإنسان إذ لكل شخص ميوله الخاصّة ، لكن لو كان الأمر على هذه الحال لكوّن كل إنسان فرقة لذاته وفي هذا نظر .

أو لعله يرجع إلى تفاوت النّاس في مداركهم العقلية ممّا يحتّم آختلافا في وجهات النّظر تجاه الأحداث والنّصوص المعتمدة ، ولكلّ ديانة نصوصها .

أو لعلّ الأمر يعود إلى حبّ الذّات واتّباع الهوى واحتقار الآخرين .

كل هذه الافتراضات متفرّقة أو مجتمعة يمكن أن تكون من أسباب آفتراق النّاس إلى طوائف .

فالاختلاف بين النّاس ليس أمرا غريبا بل هو قانون من قوانين الحياة،ولولاه لظلّت الحياة على وتيرة واحدة من أقدم العصور .

ولكن المشكل الذي يحار العقل في استكناهه هو ما ينتج عن هذا الافتراق من تنازع وتدابر وتنافر قاست البشريّة منها ويلات وما تزال .

وهذا الدّاء يكون عياء إذا كان النّزاع بين أهل الرّسالات السّماويّة وبصفة أخصّ بين المسلمين بداية من العقد الرّابع من القرن الأول للهجرة .

وهذا ما دفع المعرّي (363 ـ 449 / 973 ـ 1057) إلى أن يصيح من أعماق محابسه الثّلاثة : ...... ليت شعري ما الصّحيح ؟

ليست مهمتنا في هذا البحث أن نحلّ اللّغز الذي حيّر المعري وغيره من المفكّرين ، وإنّما يحدونا الأمل على أن نفهم جانبا من واقع الأمّة الإسلامية ـ وهي وإن تعدّدت فيها الفرق ما تزال تحمل اسم الأمّة ـ انطلاقا من قسم من تراثها حسب مقتضيات موضوع البحث .

ولا يخفى على أيّ باحث أنّ كلّ قضيّة هي جزء لا يتجزّأ من نظام فكريّ متكامل إلّا أنّ المنهج العلميّ يفرض التّجزئة من أجل بلوغ الحقيقة ، فلا بدّ إذن من عزل الخليّة عن كيانها لوضعها تحت المجهر .

فلنحاول أن نضع قضية الافتراق تحت مجهر البحث لندرك ما الذي جعل كتب المقالات والملل والنّحل تسمّي الإباضية إباضية وتحشرهم في زمرة

الخوارج ؟ وما هو رد فعل الذين أطلقت عليهم هذه التّسمية من خلال تراثهم عامّة وبصفة خاصّة في المرحلة المقرّرة في البحث ؟ .

مناقشة تسمية الفرق :

تجمع كتب المقالات والملل والنحل[1] أنّ جميع الفرق الإسلامية ترجع إلى اتّجاهات ثلاثة أطلقت عليها هذه التّسميات : **أهل السنّة** ، **الشّيعة** ، **الخوارج**.

ثمّ تحرص على أن تكون الإحصائية مطابقة لحديث الرسول عليه السلام : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، والنّصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة » .

---

(1) نذكر على سبيل المثال :
ــ أبا الحسن الأشعري (942/330) : مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين تحقيق محمد محي الدّين عبدالحميد . ط 2 مكتبة النّهضة المصرية 1969/1389 جزآن .
ــ محمد بن أحمد المَلَطي (988/377) : التّنبيه والرّدّ على أهل الأهواء والبدع.تحقيق محمد زاهد الحسن الكوثري . مكتبة المثنى ببغداد ومكتبة المعارف بيروت 1968/1388 .
ــ عبد القاهر البغدادي (1037/429) : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم.منشورات دار الآفاق الجديدة . بيروت 1980/1400 .
ــ علي بن أحمد بن حزم (1064/456) : الفصل في الملل والأهواء والنّحل ط 1 1317 ــ 1321 هـ . 5 أجزاء في 4 مجلدات .
ــ محمد بن عبدالكريم الشّهرستاني (1153/548) : الملل والنّحل. ط 1 بمصر. 1320/1317. بهامش كتاب الفصل لابن حزم . وينتهي بالفصل الثالث .

وفي رواية أخرى : « ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة كلّهن إلى النّار ما خلا واحدة ناجية كلّهم يدّعي تلك الواحدة »[2].

ثم بعد هذا الإجماع ينطلق الاختلاف حول ادّعاء الفرقة النّاجية .

وأنت وإن قرأت تراث كلّ فرقة على حدة تحسب أنّه لا يوجد في الأمّة .

---

(2) الرّبيع بن حبيب : الجامع الصّحيح . ط 2 المطبعة السّلفية ، القاهرة 1349 الحديث عدد 41 : 13/1 .

ر . المحشّي : حاشية على كتاب الوضع . البارونية . القاهرة 1305هـ، ص 67 .

ر . أبو يعقوب الوارجلاني : الدّليل والبرهان . البارونية . القاهرة 1306هـ ، 28/1 .

ر . السّالمي : شرح الجامع الصحيح ، ط 2 . المطابع العالمية سلطنة عمان د . ت 66/1 — 70 .

ر . المحشّي : حاشية الترتيب (أى الجامع الصحيح) المطبعة الشرقية . سلطنة عمان 1982/1402 ، 63/1 — 65 .

ويقول جولد تسيهر : «ويرجع أغلب الخطإ في هذا إلى علماء الكلام المسلمين أنفسهم ، إذ أساؤوا فهم حديث من الأحاديث النبوية قصد به في الأصل تمجيدالإسلام وإعلاء شأنه ، فخصه بقدر من الفضائل والمزايا ، بلغت في عددها ثلاثا وسبعين تقابلها من الفضائل اليهودية إحدى وسبعون ومن المسيحية اثنتان وسبعون . ففهمها الكلاميون على أنها ثلاث وسبعون فرعا أو فرقة» .

جولد تسيهر : العقيدة والشريعة في الإسلام.ط 2 مصر 1959 . ص 187 .

ونلاحظ أن هذا المستشرق قلب الحديث إلى حسنة من حسنات المسلمين.

وقد نشر عمر بن حمادي مقالا موسعا في مجلة Cahiers De Tunisie العدد 15 السنة 1981 . بيّن فيه مختلف الروايات ، واستقر رأيه على أن الحديث من وضع أهل السنة ص 287 — 357 .

ر . أبو داود : سنة 1 . الترمذي ايمان 18 . ابن ماجة : فتن 17 . احمد ابن حنبل-332/2 . 145/3 . ر . ونسنك : المعجم المفهرس.136/5 .

الإسلامية إلّا أهل الإيمان والصّلاح والتّقوى بحيث لا تشكّ بأنّهم جميعا من أهل الجنّة[3].

وإن أنت قلبت الصّفحة وقرأت قراءة ثانية من خلال موقف كلّ فرقة من الفرق الأخرى تخلص إلى أنّ جميع المسلمين كفّار وأنّهم جميعا من أهل النّار .

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا التّقسيم للأمّة جاء يعكس أحداث الفتنة الكبرى التي انطلقت بمقتل عثمان سنة (656/35)[4] وما يزال المسلمون إلى يومنا هذا يتنفّسون ما تصاعد منها من دخان . وهذه أهمّ المراحل لمجرّد التّذكير .

1) مقتل عثمان (656/35) .
2) مبايعة علي بن أبي طالب (656/35)[5] .
3) معركة الجمل (657/36)[6].
4) معركة صِفّين (657/37)[7].

---

(3) ر . المحشي : حاشية الترتيب (الجامع الصحيح) يقول هذه الواحدة الناجية هي ما عليه أهل الدعوة . 64/1 يعني الإباضية . .

(4) عثمان بن عفان (23 ــ 35 / 643 ــ 656) ولادته 47ق هـ/577 .
ر . الزركلي : الاعلام ط 1374.2 / 1954 31/4.

(5) علي بن أبي طالب (35 / 656 ــ 660) ولد سنة 23 ق هـ / 600 .
ر . الزركلي : الاعلام 5 / 107 ــ 108 .

(6) معركة الجمل (36 / 656) . 425 ــ 427 EI_2 II .cf .

(7) صفّين : بكسر الصاد والفاء مشددة ، موضع بقرب الرّقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي وفيه وقعت الحرب بين علي ومعاوية . ر. ياقوت الحموي : معجم البلدان 3 / 414 وعن المعركة ر. كوبرلي الاطروحة 11/1ــ12 وقد أحال على أهمّ المصادر والمراجع . 25 ــ 422 cf. EI, IV .

لقد أسفرت معركة صفّين عن انقسام المسلمين إلى ثلاث كتل :

1) كتلة علي بن أبي طالب .
2) كتلة معاوية بن أبي سفيان[8].
3) كتلة المحكّمة : أي التي رفضت التّحكيم[9].

واستمرّ الصّراع بين هذه الكتل على أشدّه حتى انتهت الدّولة الأموية فواصلت الدّولة العباسية نفسَ المنهج في هذا الصّراع .

والمشكل المطروح هنا كيف انبثقت هذه التّسميات التي استقرّت في كتب التّاريخ وكتب المقالات ؟ ولم تحولت كتلة معاوية وبالتّالي الأمويين إلى أهل السنّة وصارت جماعة علي شيعة واعتبرت المحكّمة خوارج ؟

---

(8) معاوية بن أبي سفيان (40—661/60—680) ، ولادته 20 ق هـ. ر . الزركلي الأعلام 8/172—173 .

(9) أول من حكّم عروة بن أديّة (ت 58/678) . «أقبل على الأشعث فقال : ما هذه الدّنيئة يا أشعث وما هذا التّحكيم . أشرط أوثق من شرط الله عز وجل». المبرّد . الكامل مكتبة المعارف بيروت د .ت ، 2/134 وقيل أوّل من حكم ولفظ بالحكومة ولم يُشِد بها. رجل من بني سعد ... يقال له الحجاج بن عبدالله ، ويعرف بالبرك وهو الذي ضرب معاوية على أليته» المبرد : الكامل 2/140 .

واضح أن عروة وأتباعه هم الذين اشتهروا بها . ثم صارت شعارا للمحكّمة : «لا حكم إلاّ لله» بمعنى القول الفصل لله دون الرّجال فاذا ورد نص فلا سبيل إلى اللجوء إلى الناس (انظر مناظراتهم مع ابن عباس) . المبرد : الكامل 2/156 ، وانظر خلافة عثمان وعلي عند القلهاتي : كتاب الكشف والبيان ، تحقيق محمد بن عبد الجليل ، حوليات الجامعة التونسية عدد 11 ، 1974 خاصة ص 225 ــ 235 .

ر . الاشعري : المقالات 1 / 210 حول أول من حكّم ، وللتعريف بعروة ر . الزركلي : الاعلام 5 / 16 ــ 17 . وللتعريف بالأشعث بن قيس (ت 40 / 661) ر . الزركلي : الاعلام 1 / 333 ــ 334 .

يصعب أن نقرّر رأيا نهائيا في القضية وليس لنا أن نأتي بالقول الفصل في معضلة سال في شأنها من المدَاد ما لا يقدّر .

لكنّ الذي لا نشك فيه هو أنّ هذه التّسميات المستحدثة تعكس مجرى الأحداث في القرن الأوّل نعني الأحداث السياسية ، والسياسة جزء من الدين كما لا يخفى .

إنّ موازين القوى ودولاب الحكم استقرّت لدى الأمويين لذلك صاروا الممثّل الرّسميّ للإسلام فهم حينئذ أهل السنّة[10] ولا يخفى ما في هذه التّسمية من استهواء للعامّة وحتى الخاصّة ، ونحن نعلم مؤازرة كثير من العلماء للحكّام باسم اختيار أخف الضّررين ، ثم إنّ مرور الزّمن أعطى هذه التّسمية نوعا من القداسة إلى أن نسيت كلمة أهل وتحوّلت إلى النّسبة المباشرة : سنّي وسنّيون . واذا علمنا أنّ جلّ من وصلت إلينا كتاباتهم في الفرق ينتمون إلى هذا التّيار نتبيّن كيف ينبغي الاحتراز من مثل هذه الكتب .

---

(10) ر . ابن العربي : العواصم من القواصم 199 (تعليق 1) في شان الصلح بين معاوية ، والحسن وذلك سنة 41 / 661 وقد سمّي عام الجماعة فاستقرّ الأمر للأمويّين فاختاروا أحسن الأسماء . ويقول السّالمي : «تسمية أهل السنّة ، فإنه كان في الزّمن الأول قبيحا لكون المراد بالسنّة السنّة التي سنّها معاوية في سبّ عليّ وشتمه على المنابر ، فصار ذلك سنّة ينشأ عليها الصّغير ويموت عليها الكبير حتى غيّرها عمر بن عبد العزيز ، فأهل تلك الحال هم أهل السنّة في ذلك الزمان ، ثم اندرس هذا السبب واختفى وظنوا أنّ السنّة سنّة النبي ﷺ فتمدّحوا بذلك وجمعوا بين المتضادّين (معاوية وعلي) في الولاية وهم يعلمون أنّ الحقّ مع فريق منهم ، وخالفوا سنّتهم الأولى حين صارت الدّولة لبني العباس من بني هاشم» . السّالمي : شرح الجامع الصّحيح . 1 / 59 . وهذا نص اللّعن : «اللهم إنّ أبا تراب ألحد في دينك ، وصدّ عن سبيلك ، فالْعَنْهُ لعنا وبيلا ، وعذّبه عذابا اليما .» محمد ماهر حمادة : الوثائق السّياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي ، بيروت 1394 / 1974 ص 106 ، عن شرح نهج البلاغة 1 / 778 .

أمّا كتلة عليّ بن أبي طالب (40 / 660) الّتي كانت في المنطلق مدافعة عن حقّ شرعيّ ومخمدة لثورة معاوية الهادفة سرعان ما رميت بالعلويّة ثمّ بالشّيعة وواضح ما في كلمة التشيّع من روح التّعصب للأشخاص لا للمبادئ ، وزاد القضيّة استفحالاً قصر الإمامة على آل البيت ففي هذه التّسمية حينئذ حرب نفسيّة ضدّ هذه الكتلة التي عملت الدّولة الأمويّة على استيعابها أحيانا وعلى إبادتها أحيانا أخرى ، ومع ذلك فإنّ هؤلاء تحمّسوا للتّسمية وتبنّوها .

وللمرء أن يتساءل أليس لهؤلاء نصيب من السّنّة أم أنّ جميع ما جدّ فيهم من انحراف أو ما نسب إليهم سجّل ، بينما تناسى النّاس ما جدّ في الدّولة الأمويّة من انحراف ، وظلّوا يسمّونهم أهل السّنّة وإن كان بعض خلفائهم منحرفين .

نكتفي بهذه الإشارة السّريعة إلى كتلة الإمام علي ، ولنقف عند الكتلة الثالثة لأنّها منطلق بحثنا.

فلماذا لم يبق هؤلاء محكّمة وصاروا خوارج ، ثم أهل الأهواء والبدع ؟

لا شك أنّ هذه الكتلة أذاقت كتلة معاوية ــ الأمويّين ثم أهل السّنّة ــ الأمرّين[11] لأنّ المنتمين إليها رفعوا شعارا يرجو كلّ مسلم تحقيقه ، ألا وهو أنّ إمامة المسلمين ليست مقصورة لا على القرشيين عامّة ولا على آل البيت ، وإنّما هي حقّ لكل من توفّرت فيه شروطها ، هذا مع ما أوتوا من فصاحة إلى حدّ أن عبد الملك بن مروان (65ــ86 / 685ــ705)[12] اكتفى بسجن واحد منهم بعد أن كان عازما على قتله وهو يقول : « لولا أن تفسد بألفاظك أكثر رعيتي ما حبستك ».[13]

---

(11) ر . المبرد : الكامل 2 / 121 ــ 393 .

(12) عبد الملك بن مروان (65 ــ 86 / 685 ــ 705) ر . الزركلي : الاعلام 4 / 312 .

(13) ر . المبرد : الكامل 2 / 171 .

وبما أنّ هذه الكتلة كانت من القوة بمكان فلا سبيل إلى محاربتها إلّا بسلاح ديني فتّاك ألا وهو تهمة الخروج من الدين(14).

والمبرّد ــ ويبدو أنّه علوي ، إذ يصلّي على علي وعترته في كلّ كتابه

---

(14) الخوارج :«كان في الزمن الأول مدحا لأنّه جمع خارجة وهي الطائفة التي تخرج للغزو في سبيل الله تعالى . قال عز وجل : ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدّوا له عدّة﴾ (9 التوبة 46) . ثم صار ذمّا لكثرة تأويل المخالفين أحاديث الذّم في من اتّصف بذلك آخر الزمان . ثم زاد استقباحه حين استبد به الأزارقة والصّفرية ، فهو من الأسماء التي اختفى سببها وقبحت لغيرها ، فمن ثمّ ترى أصحابنا (الإباضية) لا يتسمّون بذلك ، وانما يتسمّون بأهل الاستقامة لاستقامتهم في الدّيانة». السّالمي : شرح الجامع الصحيح 1 / 59 . أما الأشعري فيقول : «وللخوارج ألقاب : فمن ألقابهم الوصف لهم بأنهم خوارج ، ومن ألقابهم ــ الحرورية ــ ومن ألقابهم : الشّراة أو الحرارية ، ومن ألقابهم المارقة ، ومن ألقابهم المحكّمة ، وهم يرضون بهذه الألقاب كلّها إلّا المارقة ، فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السّهم من الرميّة . والسبب الذي سمّوا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب والذي له سمّوا محكّمة إنكارهم الحَكَمين وقولهم : لا حكم إلا لله ، والذي له سمّوا حرورية نزولهم بحروراء في أول أمرهم ، والذي له شراة قولهم : شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة . والكور التي الغالب عليها الخارجية : الجزيرة ، والموصل ، وعمان ، وحضرموت ، ونواح من نواحي المغرب ، ونواح من نواحي خراسان ، وقد كان لرجل من الصّفرية سلطان في موضع يقال له سجلماسة على طريق غانة». الاشعري : المقالات 1 / 207

واضح أنّ الأشعري سكت عن مفهوم الغزو في سبيل الله ، كما غفل عن أنّ المحكّمة يعتبرون أنّ عليا خرج عن بيعته عندما قبل التحكيم ، ولذلك هم استتابوه، ولا يعتبرون أنّهم خرجوا عنه ، إلّا أنّه بيّن أنّهم يرفضون لقب المارقة وهذا أمر طبيعي إذ لا يمكن لمسلم أن يقبل مثل هذا اللقب ، وإن ارتبط بعد حين باسم الخوارج .

ـ وإن أتى بأخبار هذه الكتلة تحت عنوان « من أخبار الخوارج » فإنّه يورد الحديثين اللذين يثبتان أنّ الخروج يعني المروق من الدين.

أما الأوّل فقد جاء نصّه كما يلي : بعد انتقاد رجل وصف « بأنّه مضطرب الخلق غائر العينين ناتئ الجبهة » لقسمة الرسول عليه السلام لغنائم جاءت من اليمن أدّى إلى غضبه عليه السلام فقال :

« إنه سيكون من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السّهم من الرّميّة تنظر في النّصل فلا ترى شيئا وتنظر من الرّصاف[15] فلا ترى شيئا وتتمارى في الفوق[16] »[17].

---

(15) الرُّصافة : عقبة تشد على مدخل سِنْخ النّصل . ج رَصَائِف . ويقال رَصف السّهم أي شدّ عليه رُصافة .

(16) الفُوق : من السهم : حيث يثبت السهم منه ، «هما فوقان ج فُوَق وأفْواق .

(17) وقوله عليه السلام : «من ضئضئ هذا » ـ من جنس هذا ـ مرق السّهم من الرمية ، إذا نفد منها ، وأكثر ما يكون ذلك أن لا يعلق به من دمها شيء» المبرد : الكامل 2 / 142 .

وقد بين السّالمي أن الحديث ورد في البخاري مع ما بين النصين من اختلاف وبرّأه من الكذب إلاّ أنّه أشار إلى أنه «يأخذ عن أهل الأهواء» . شرح الجامع الصحيح . ثم أورد نصوصا من سير الشماخي والسير العمانية في الثّناء على أهل النهروان وألحّ على أنّ المخالفين (غير الإباضية يروون أحاديث غير صحيحة أو يتأولون.

ثمّ يبيّن أن الحديث عندنا (الإباضية) في علماء السّوء وفي كل من خالف عمله كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ . شرح الجامع الصحيح 1 / 58 .

كما يمكن أن يحمل على غلاة الخوارج من الأزارقة والصّفرية القائلين بشرك أهل الكبائر فإنّهم يجتهدون في التحرّز والعبادة لئلا يقعوا في الشرك ... وحمله على كل من خالف الحق في عبادته أظهر . السالمي: شرح الجامع الصحيح 1 / 59» .

أمّا المحشّي في حاشية التّرتيب (الجامع الصحيح) فقد اكتفى بالشّرح =

وأما الحديث الثاني فيروى عنه عليه السّلام أنه لمّا وصفهم قال : « سيماهم التّحليق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، علامتهم رجل مخدّج[18] اليد » . وفي حديث عبد الله بن عمرو : «رجل يقال له عمرو ذو الخويصرة أو الخنيصرة»[19] هذا ما ذكره المبرّد ويحسن أن نشير إلى المهلّب بن أبي صفرة (7 — 83 / 628 — 702)[20] في ما نسب إليه من افتراء الأحاديث على الخوارج .

فالتّسمية مغرضة حينئذ وإن لطّفت في كثير من الأحيان بتغطيتها بالخروج السّياسي على علي بن أبي طالب (660/40) ، وإن كان الأمر على هذه الحال فلماذا لم يسمّ طلحة (28 ق هـ 36 / 596—656)[21] والزّبير (656/36)[22]، وقد خرجا على علي من قبل ، خوارج ولم يطلق هذا الاسم على معاوية إذ هو الآخر شقّ عصا الطّاعة على الخليفة الشّرعي ووقف

= اللغوي 1 / 55 . وقد ورد الحديث عند الربيع بن حبيب : الجامع الصحيح 1 / 12 عدد 36 .
وقد أخرجه البخاري في باب من ترك قتال الخوارج للتألّف . ر. ابن حجر : فتح الباري. القاهرة 1348 هـ 12 / 244 — 246 .

(18) مخدّج : من خدّج أي نقص ، لم تكتمل خلقة يده .

(19) وبين المبرّد مدى الإلحاح للعثور على الرّجل المخدّج في قتلى أهل النّهروان ر. المبرد : الكامل 2 / 163 . والكلام عن ذي الخويصرة وتعريفه تردد المؤرخون في شأنه كثيرا ر. ابن حجر : فتح الباري ، 21 / 245 .

(20) المهلّب بن أبي صفرة (7—83 / 628—702) ولد في دبا ونشأ بالبصرة ، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر . انتدب لقتال الأزارقة فلقي منهم الأهوال ، ثم تغلب عليهم فقتل الكثير وشرد الكثير . ولي خراسان 79 — 698 ومات فيها ر. الزركلي : الاعلام 8 / 260 .

(21) طلحة بن عبدالله بن عثمان التميمي (28 ق هـ — 36 / 596 — 656) ر. الزركلي : الاعلام 3 / 333 .

(22) الزبير بن العوام الاسدي (ت 36 / 656) ر . الزركلي : الاعلام 3 / 74 .

ليحاربه في صفّين ألأنّه خرج يطالب بدم عثمان ؟ أم لأنّه انتصر في ما بعد بالخديعة التي أقرّها جميع المؤرخين بمن فيهم أنصار معاوية إلاّ أنهم اعتبروها من باب الدّهاء والحكمة ، بينما اعتبرها الآخرون من باب الخيانة وكفى .

ثم أضافت كتب الملل والنحل ثلاث صفات قارّة للخوارج : أهل الأهواء . أهل البدع والمارقة . عدا بعضا منها تنسب شيئا من الاعتدال أو القرب من السّنة أو من أهل السّنّة لبعض الفروع المنبثقة من الخوارج[23] إلاّ أنّ هذا العنوان الأخير يغطّي عادة ذلك الاعتدال .

بهذا نفهم أنّ هذه التّسميات لم تكن منزّلة ، كما أنّها لم تكن اعتباطية وإنما هي نابعة من واقع مرير عرفه المسلمون إثر ثلاثين سنة من الأمن والطّمأنينة عرفوها تحت ظلال الإسلام الصّرف الذي لم تشبه شائبة المشاكسة والافتراق[24].

وقبل أن نبيّن موقف الإباضية من هذه الأحداث من خلال تراثهم يحسن أن نثبت نصوصا متضاربة في الحكم لمن عرفوا بالخوارج أو عليهم .

فهذا الإمام علي عندما سئل عنهم قال : « هم من الكفر فروا »[25] .

وهذا المبرد يقول : « والخوارج في جميع أصنافها تبرأ من الأكاذيب ومن ذي المعصية الظّاهرة »[26].

وهذا عروة بن أديّة (تـ 678/58) يموت شهيدا لأنه قال كلمة حق أمام

---

(23) انظرمثلا أبا زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية . ط دار الفكر العربي د ت 1 / 91 .

(24) عدا ما حدث يوم السّقيفة عند وفاة الرّسول عليه السلام .

(25) وقال أيضا : «ولما فقد علي تلك الأصوات بالليل كأنّها دوي النّحل قال : أين أسود النّهار ورهبان الليل» . السالمي : شرح الجامع الصحيح 1 / 57 .

(26) المبرد : الكامل : 2 / 134 .

سلطان جائر . وذلك عندما سأله زياد ابن أبيه (1ـ53/622ـ673)[27] عن نفسه فقال : أوّلك لزنية وآخرك لدعوة وأنت بعد عاص لربك»[28].

وهذا قول أحمد أمين (1334ـ1374 / 1886ـ1954 م): « لقد كان في الخوارج كل العناصر التي تكوّن الأدب : عقيدة راسخة لا تزعزعها الأحداث ، وتحمّس شديد لها ، تهون بجانبه الأرواح والأموال، وصراحة في القول والعمل لا تخشى بأسا ، ولا ترهب أحدا ، وديمقراطية حقّة لا ترى الأمير إلّا كأحدهم ، ولا العظيم إلّا خادمهم ، ورسم الطّريق الذي ينبغي أن يسلكوه رسما مستقيما واضحا لا عوج فيه ولا غموض ، يجب أن يعدل الخليفة والأمراء ، وإلّا يقاتلوا حتى يعزلوا أو يقتلوا ، ويجب أن يسير المسلمون حسب نصوص الكتاب والسنّة من غير أن ينحرفوا عنها قيد شعرة ، وإلا يقاتلوا ليحلّ محلهم مسلمون مخلصون طاهرون ، ويجب أن يسلك السبيل إلى ذلك من غير تقية ، ومن غير مجاملة ولا مواربة ويجب أن يقابل الواقع كما هو ، ويشخّص كما هو ، ويعالج كما هو ، على طريقة عمر بن الخطاب ، لا على طريقة عمرو بن العاص .

ووراء ذلك كلّه نفوس بدوية ــ غالبا ــ فيها الاستعداد للقول وفصاحة اللسان ، وفيها كل ما نعهده في البدوي من قدرة على البيان ، وسرعة البديهة ، وأداء للمعنى بأوجز عبارة وأقوى لفظ »[29].

---

(27) زياد ابن أبيه (1 ــ 53 / 622 ــ 673) من أهل الطائف . أسلم في عهد أبي بكر . ولاه علي ابن أبي طالب إمرة فارس ، امتنع عن معاوية . ثم ألحقه معاوية بنسبه سنة 44 / 664 لمّا تبيّن له أنّه أخوه من أبيه (أبي سفيان) فكان عضده الأقوى . وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق . فلم يزل في ولايته إلى أن توفي . ر. الزركلي : الاعلام 3 / 89 ــ 90 .

(28) ر. المبرّد : الكامل 2 / 134 .

(29) أحمد أمين : ضحى الاسلام . ط 7 مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . 1964 3 / 340 ــ 341 .

إنّك إذا قرأت هذه النّصوص ما أخالك إلّا أن ترجو من الله تعالى أن يجعلك خارجيا ، وأن يميتك خارجيا ، وأن يحشرك في الجنة خارجيا ، لأن مثل هذه الصفات لا تحيد عن القرآن والسنة قيد أنملة إذ هم فرّوا من الكفر ، وهم أسود النّهار ورهبان الليل ، لا يعرف الكذب والمعصية إليهم سبيلا ، كما أنهم يصدعون بكلمة الحق ويدافعون عنها بكل ما أوتوا من قوة .

وهذه شهادات من غير الخوارج ، أمّا إذا قرأت إنتاجهم وهو مبثوث في كتب الأدب والتاريخ فإنّك سترى العجب العجاب مما يجعلك تقرّ أنّهم مسلمون بأتمّ معنى الكلمة .

لكن رويدا ولا تتسرّع في حكمك واقرأ ما جاء عن الخوارج في كتب المقالات وخاصة ما نسب إلى بعض الفرق منهم .

وخذ لك على سبيل المثال قول الأشعري[30](942/330): « فالفرقة الأولى منهم (الخوارج الإباضية) يقال لهم الحفصية » كان إمامهم « حفص ابن أبي المقدام » . زعم أنّ بين الشرك والإيمان معرفة الله وحده فمن عرف الله سبحانه ثم كفر بما سواه من رسول أو جنة أو نار ، أو عمل الخبائث من قتل النفس واستحلال الزنا وسائر ما حرم الله من فروج فهو كافر بريء من الشرك ... »[31].

---

(30) الأشعري : (260 ــ 324 / 847 ــ 936) أبو الحسن علي بن اسماعيل من نسل الصّحابي أبي موسى الأشعري . مؤسس مذهب الأشاعرة . كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين . ولد في البصرة وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم . ثم رجع وجاهر بخلافهم . وتوفي ببغداد ر . الزركلي : الاعلام 5 / 69 . مع ملاحظة أنّ محقق المقالات أقر تاريخ الوفاة سنة 330 / 942 .

(31) الأشعري : المقالات 1 / 183 .

ويقول المَلَطي (988/377)[32] : « فأمّا الفرقة الأولى من الخوارج فهم المحكّمة الذين كانوا يخرجون بسيوفهم في الأسواق فيجتمع النّاس على غفلة فينادون :لا حكم إلا للهويضعون سيوفهم في من يلحقون من الناس ، فلا يزالون يقتلون حتى يقتلوا »[33].

ويقول البغدادي (1037/429)[34] : « والّذي جمعهم (الأزارقة) من الدّين أشياء منها قولهم بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون ... ومنها قولهم إن القعدة ممّن كان على رأيهم عن الهجرة مشركون وإن كانوا على رأيهم ...»[35].

ولا أخال إنسانا يتمنى أن يكون خارجيا بعد أن يقرأ مثل هذه النصوص التي يستحلّ بعض أصحابها ما حرم الله ، ويكفرون بالرسل ، ويروّعون النّاس في الأسواق ، ويعتبرون مخالفيهم مشركين .

وليس لنا في نهاية الأمر أن ننتصب حماة للخوارج أو مشنّعين عليهم ، وإنما غايتنا بإيراد القسم الثاني من هذه النّصوص أن نبيّن ما جنت على الإباضية خاصّة من العنت والعناء ، وما يزال علماؤهم يكتبون — وهم في قفص الاتّهام — لإبعاد هذا النّسب ، ولمسح هذه التّهم ، وما يزال الناس

---

(32) المَلَطي (ت 377 / 987) محمد بن أحمد بن عبدالرحمن أبو الحسين الملطي المقرئ . قال عنه ابن الجزري : نزيل عسقلان . فقيه . مقرىء متقن ثقة . مات بعسقلان سنة 377 / 987 . ر . مقدمة كتابه التنبيه لمحمد زاهد حسن الكوثري حررها بالقاهرة 1368 / 1949 .

(33) الملطي : التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع : 64.

(34) البغدادي (ت 429 / 1037) عبد القاهر بن طاهر البغدادي . ولد ونشأ في بغداد ، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور ، ومات في اسفرائين . من أئمة الأصول ر. الزركلي : الاعلام 4 / 173 .

(35) البغدادي : الفرق بين الفرق : 62 — 63 .

يكتبون عن الفرق وعمدتهم هذه المصادر وأمثالها فيزيدون في تركيز هذه التّهم وإبعاد الهوة بين الإباضية وبين بقية المسلمين وكأنّ الاباضية ليسوا من الإسلام في شيء ، لأنهم هم الصنف الوحيد الذي بقي من هؤلاء الخوارج[36].

والسؤال المطروح الآن تقليدي عند الإباضية — هل الإباضية من الخوارج ؟ وإن كان غير الإباضية يعتقدون أن الخارجية قصرت عليهم الآن وكفى .

لقد اتّسمت الحركة الإباضية بالسريةِ الكاملة في بداية نشأتها ولذلك يصعب على غير الإباضية أن يتصوّروا بوضوح حقيقة علاقة هذه الحركة بحركة الخوارج .

والمتتبع لأقدم المصادر في هذا الشّأن يدرك ما يلي :

1) أنّ المعارضة التي مني بها عثمان في الست سنوات الأخيرة من حكمه شرعيّة ، وهي منبثقة من الواقع الإسلامي ولا دخل ليد أجنبية في ذلك إذ

---

(36) كل من يشير إلى تعداد الفرق أو يذكر الإباضية يشير إلى ذلك ، ومن ذلك ما يذكره أبو زهرة في كتابه : تاريخ المذاهب الإسلامية 1 / 91 : «الإباضية هم أتباع عبد الله بن اباض وهم أكثر الخوارج اعتدالا وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيرا فهم أبعدهم عن الشطط والغلوّ ولذلك بقوا» .

وكذلك ما يقوله محمد عبده (1265 — 1323 / 1849 — 1905) : «وغلا الخوارج فكفروا من عداهم ... وانتشرت فارّتهم في أطراف البلاد ولم يكفّوا عن إشعال الفتن . وبقيت منهم بقيّة إلى اليوم في أطراف افريقيا وناحية من جزيرة العرب . ويعلّق رشيد رضا بما يلي . «إنه يعني بهذه البقية الإباضية ... ولكن الإباضية يتبرأون من الخوارج الذين يكفّرون من يخالفهم كالصّفرية والازارقة» . محمد عبده : رسالة التوحيد 12 ، تعليق عدد 1 ، ط 15 دار المنار. مصر 1372. وعن محمد عبده ر. الزركلي: الاعلام 7 / 131 .

تسكت المصادر عن دور عبد الله بن سبأ[37] الأمر الذي تلح عليه المصادر الأخرى .

2) خلافة علي شرعية (35—40/656—661) .

3) طلحة والزبير ومن معهما هم الفئة الباغية ومحاربة علي إياهم واجب شرعي[38].

4) محاربة علي لمعاوية شرعية .

5) علي أفسد بيعته بقبوله التحكيم .

6) إمامة عبدالله بن وهب الراسبي[39] الذي بايعه المحكّمة بيعته شرعية .

---

(37) عبد الله بن سبأ (ت نحو 40 / 660) رأس الطائفة السبئية . وكانت تقول بألوهية علي . أصله من اليمن ، قيل كان يهوديا وأظهر الإسلام. رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة ودخل دمشق في أيام عثمان بن عفان فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر وجهر ببدعته . ر. الزركلي : الاعلام 4 / 220.

(38) «جابر بن زيد (ت 93 ـ / 710 ـ 711) وأبو بلال (ت 61 / 680) اتصلا بأم المؤمنين عائشة (9 ق هـ ـ 58 / 613 ـ 678) وعاتباها فتابت» . ر . البرادي : الجواهر. المطبعة البارونية . القاهرة 1302، ص 105 ، الشماخي : السير ، المطبعة البارونية ، القاهرة 1301 هـ ، ص 67.

(39) **عبد الله بن وهب الراسبي** (9 صفر 38 / 17 جوان 658 : هو عبدالله بن وهب بن راسب بن يدعان بن مالك بن نصر من الأزد ، وهي قبيلة نزلت البصرة. أدرك النبي ﷺ ، وشارك في فتوح العراق بقيادة سعد بن أبي وقاص (55 / 674) . كان من أنصار علي في حروبه ، ثم أنكر التحكيم. بايعته المحكمة عندما ثبتت خدعة الحكمين في (20 شعبان 37 / 31 جانفي 658) . فطلب منهم علي الرجوع للمناصرة إلّا أنهم استتابوه وطلبوا منه الدّخول في ما دخل فيه المسلمون .

وجاء في رسالة المحكّمة إلى علي بن أبي طالب : ... إن كنت صادقا فادخل في ما دخل فيه المسلمون من طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة إمام المسلمين عبدالله بن وهب الراسبي ، فقد بايعناه بعد خلعنا إياك لاستحقاقك =

7) يبرأون من علي لقتله أهل النّهروان[39مكرر] ويعتبرون أن عليا لم يقتلهم عن ديانة وإنّما عن هوى في نفسه .

وخلاصة القول إنّ المحكّمة على حقّ يرون مَثَلَهم الأعلى في الحكم خلافة أبي بكر وعمر وست سنوات من خلافة عثمان وخلافة علي حتى قبوله التّحكيم .

وهؤلاء هم من بقي من النّهروان[40] .

وقد كانت المصادر الإباضية تسمّيهم المحكّمة أو أهل النّهروان أو الحرورية[40مكرر] ، أو المسلمين ، أو جماعة المسلمين .

= منا أن نخلعك ولا وسع إلّا ذلك والسلام» سرحان الأزكوي : كشف الغمة ، ورقة 281 .

وقتله في معركة النّهروان هانئ بن خطاب الأرحبي وزياد بن حفصة في 9 صفر 38 / 17 جوان 658 .

ويعتبره الإباضية من أئمتهم . ر : الدرجيني : الطبقات 2 / 210 ، والشماخي : السير 51 . ر . عمار الطّالبي : آراء الخوارج الكلامية 1 / 88 — 95 ، وقد توسع في ترجمته. ويقول الزركلي : «من أئمة الإباضية كان ذا علم ورأي وفصاحة وشجاعة وكان عجبا في العبارة . أدرك النبي ﷺ» . الاعلام 4 / 288.

39) مكرر) : النّهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشّرقي حدّها الأعلى متصل ببغداد . وفيها عدة بلاد متوسّطة . ر . ياقوت الحموي : معجم البلدان 5 / 324 — 327 .

40) ر. البرادي : الجواهر ص 146 .

40) مكرر) : وسبب تمسيتهم الحرورية محاورة علي إياهم بحروراء : قيل هي قرية بظاهر الكوفة وقيل موضع على ميلين منها . ر. ياقوت الحموي ، معجم البلدان 2 / 245 ويقول المبرد : «فرجع معه منهم ألفان من حروراء وقد كانوا تجمّعوا بها ، فقال لهم علي صلوات الله عليه : ما نسميكم ؟ ثم قال : الحرورية لاجتماعهم بحروراء .» المبرد : الكامل 2 / 136 .

وكان على رأس هؤلاء عروة بن أديّة[41] الذي قتله عبيد الله بن زياد ابن أبيه وأخوه أبو بلال مرداس[42] هو الذي انطلق شاريا إثر موت أخيه واتضح أمره

---

(41) **عروة بن أديّة** (ت 58 / 678) : عروة بن حدير التميمي ، وأديّة أمّه . أول من قال : لا حكم إلا للّه ، وسيفه أول ما سلّ من سيوف أباة التحكيم . وذلك أنه عاتب الأشعث فشهّر سيفه وضربه فأصاب عجز بغلته ، وحضر حرب النهروان فكان أحد الناجين منها وعاش إلى زمن معاوية فجيء به إلى زياد ابن أبيه ، فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيرا وسأله عن عثمان وعلي فأثنى على عثمان في ست سنين من خلافته وشهد عليه بالكفر في البقية ، وأثنى على علي إلى يوم التحكيم ثم كفّره (والكفر كفر نعمة لا كفر شرك) فسأله عن نفسه فأغلظ له فأبقى عليه إلى أن كانت أيام عبيد الله بن زياد فقتله عبيد الله» . ر. الدرجيني : الطبقات 2 / 214 ـ 225 . ر : الشماخي السير : 67 . ر : الزركلي : الاعلام 5 / 16 ـ 17 .

(42) **أبو بلال مرداس بن حدير** (ت 61 هـ/ 680) : مرداس بن حدير بن عامر ابن عبيد بن كعب الرّبعي الحنظلي التميمي ، أبو بلال ويقال له مرداس بن أدّية وهي أمه ، من عظماء الشّراة ، وأحد الخطباء الأبطال العبّاد ، شهد صفّين مع علي ، وأنكر التحكيم ، وشهد النّهروان وسجنه عبيد الله بن زياد في الكوفة ، ونجا من السجن فجمع نحو ثلاثين رجلا ونزل بهم في آسك (بالأهواز بين رامهرمز وارجان) وأذاع في الناس أنه لم يخرج ليفسد في الأرض ولا ليروّع أحدا ، ولكن هَربا من الظلم ، وأنه لا يقاتل إلا من يقاتله ، ولا يأخذ من الفيء إلا أعطياته وأعطيات أصحابه ، فوجّه إليهم عبيد الله بن زياد جيشا كبيرا فهزموه ووجه ثانيا يقوده عباد بن علقمة المازني فنشب قتال في يوم جمعة إلى الظهر ، وتوادع الفريقان إلى ما بعد الصلاة فلما كان مرداس وأصحابه في صلاتهم أحاط بهم عباد فقتلهم عن آخرهم وحمل رأس مرداس إلى ابن زياد . وهو أخو عروة بن حدير . ر : الدرجيني : الطبقات 2 / 214 ـ 225، ر : الشماخي : السير 66 ـ 67 ، ر : الزركلي : الاعلام 6 / 86 . ر. عوض خليفات : نشأة الحركة الإباضية ، ط . عمّان . الاردن.1978 ص 70 ، وشك في انتصار 40 على 2000 ورجّح أن الحوار أقنع القائد الأموي أسلم بن زرعة بصحة وجهة نظر مرداس . لكن السؤال =

خاصة مع عبيد الله بن زياد[43] .

وقد رأينا أنّ أبا بلال اتصل بعائشة مع جابر بن زيد[44] ، فبتحول موقف

= المطروح كيف قوبل هذا القائد من سادته الأمويين ؟ وكذلك أحببنا لو علّق خليفات على الخيانة التي اعتمدها القائد الثاني لاستئصال مرداس وجماعته . وتبقى القضية فعلا محلّ نظر .

(43) عبيد الله بن زياد ابن أبيه (28 ــ 67 / 648 ــ 686) : وال فاتح من الشجعان ، جبّار خطيب ولد بالبصرة وكان مع والده لما مات بالعراق فقصد الشام ، فولاه عمه معاوية خراسان سنة (53 / 673) فأقام بخراسان سنتين ثم نقله معاوية إلى البصرة أميرا عليها (55 / 675) فقاتل الخوارج واشتد عليهم وأقره يزيد على إمارته (60 / 679) وكان مقتل الحسين على يديه ، وثب عليه أهل البصرة بعد موت يزيد (65 / 684) فاختفى في الشام وقتله ابراهيم بن الأشتر عندما تفرق عنه أصحابه في خازرمن أرض الموصل . ر : الزركلي : الاعلام 4 / 347 ــ 348 .

(44) جابر بن زيد (93 / 710 ــ 711) : هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجوفي البصري العماني ، والجوفي نسبة إلى ناحية بعمان . وأصله من فَرق وهي بلدة من أعمال نزوى بالقرب منها ، وكان من اليحمد من ولد عمرو ابن اليحمد. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب أي (سنة 21 / 641 ــ 642) . رحل في طلب العلم وصاحب عبد الله بن عباس وكان أشهر من صحبه وقرأ عليه ، كما أخذ عن جمع غفير من الصحابة إذ يقول : «أدركت سبعين رجلا من أهل بدر فحويت ما بين أظهرهم إلّا البحر» يعني ابن عباس لغزارة علمه . لقد استقرّ في البصرة ونسب إليها وهو أصل المذهب الإباضي ، وهو أول من جمع الحديث في ديوان (مفقود) تروي المصادر أنه وقر بعير .

وقد أخذ عنه العلم ناس كثير من بينهم الإمام الثاني للإباضية وهو أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي ، وعنه روى الربيع بن حبيب كتاب الجامع الصحيح وهو عمدة الإباضية في الحديث ط بالقاهرة بالمطبعة السلفية 1349 .
ر. الدرجيني : الطبقات 2 / 205 ــ 212 ، والشماخي : السير : 70 ر : النامي : الأطروحة ص 54 ــ 93 وقد أحال على كل المصادر الإباضية وغير الإباضية ر : عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ص 86 ــ 102 .